عندما يهاجم مابعد الحداثة بوصفها انعكاساً مباشراً للمصالح المرتبطة برأسمالية الإستهلاك في مرحلتها الأخيرة، "مابعد الأيديولوجية"، وبالتالي عَرَضٌ من أعراض النية السيئة للمثقفين التابعين لها. وكما يشير ايغلتون بنفاذ، "مامن حياة فردية، حتى حياة بودريار، يمكن أن تستمرّ محرومةً من المعنى؛ والمجتمع الذي يمشي في هذا الطريق العدمي فإنّه ببساطة يعمل على تغذية تمزق اجتماعي شامل."[٢٨] انطلاقاً من وجهة النظر هذه، يمكن أن تُرى الرأسمالية المتقدّمة و كأنها تتأرجح "بين المعنى واللامعنى، منتقلةً من الأخلاقية إلى العدمية، تؤرّقها الفجوةُ المربكةُ بين الإثنين."[٢٩] في هذه الحالة، إنّ مايحتاج إلى شرح وإضاءة هو استعداد العديد من المفكرين ـ بما في ذلك ماركسيين وراديكاليين من مختلق المشارب ـ لاعتبار مابعد الحداثة مجرّد انحرافٍ فكري مؤقّت جاء نتيجة الإنكفاء السائد بعيداً عن قضايا العالم الحقيقي بأبعاده السياسية.

فيش، رورتي، فوكوياما: تنويعات على موضوع

من الواضح أنه ليس طرحاً كافياً ضدّ مابعد الحداثة أو البراغماتية الجديدة أن نقابلَ مجموعة من المعتقدات ضدّ مجموعة أخرى، أو أن نجادل انطلاقاً من أرضيات بلاغية اقناعية تنصّ بأنّ الإقناع والخطابة لايجب اعتبارهما خطّ النهاية للتواصل الجدلي. ففي حالة كهذه ينفتح المجال أمام مفكرين من أمثال فيش ليقلب الطاولات على معارضيه من المفكرين الجادّين الباحثين عن الحقيقة من خلال التأكيد بأنهم، مثله تماماً، لايملكون خياراً آخر سوى التحرّك ضمن شروط مكرّسة مسبقاً من خلال مجموعة قائمة من الأعراف الثقافية أو الأفعال الكلامية بحيث أنّ مصطلحات محددة (من مثل "الحقيقة" و"النقد") يصدف أن تحتلّ مكانة خطابية مرموقة. يتبع مما تقدّم، حسب فيش، بأنه:

١) أياً كان الشكل الذي يتمظهر من خلاله، فإنّ خطاب النظرية قد